



مركز شؤون المرأة - غزة
Women's Affairs Center - Gaza

فقدت لبني القدرة على السير كما اعتادت، وأصبحت تتحرك زحفاً حيث أنها غير قادرة على قطع متراً واحداً دون الاتكاء على زوجها الذي كان عونها وسندها ...



“كان زوجي سندي الوحيد، كنت أعكز عليه لأتمكن من المشي، رحل وترك لي صغاري، حتى الموت أخذ من كان يحمل همومنا.”

ثلاثية الألم: الإعاقة والحرب والفقدان

لبنى (36 عاماً) من سكان حي السلاطين شمال بيت لاهيا في قطاع غزة، عرفت المرض والإعاقة منذ طفولتها. فقد ولدت بضمور في العضلات وارتخاء في الأعصاب، ما جعل حركتها محدودة وصعبة، وأدخلها في رحلة طويلة من المعاناة. قبل ثلاث سنوات، زاد قدرها قسوة حين تعرضت لحريق في مطبخها أفقدها القدرة على السير نهائياً. ليزداد ألمها وإرهاقها، غير أنها قاومت بصبر وعزيمة مدعومة بوقوف زوجها إلى جانبها، لكن الحياة لم تتركها طويلاً في هذا التوازن.

بدأت معاناة لبني وهي أم لطفلين من الذكور (13 عاماً، و10 أعوام) وأثني (8 أعوام)، قبل ثلاث سنوات فقط، حين تعرضت لحادث مأساوي نتيجة تماس كهربائي في مطبخها. لم يكن ذلك الحادث عابراً، بل ترك آثاراً عميقة على جسدها الضعيف أصلاً بسبب الضمور في العضلات وارتخاء الأعصاب الذي تعانيه منذ طفولتها. فقدت لبني القدرة على السير كما اعتادت، وأصبحت تتحرك زحفاً، غير قادرة على قطع حتى متر واحد دون الاتكاء على زوجها الذي كان عونها وسندها. ورغم ما حملته حياتها اليومية من مشقة ومعاناة، حاولت لبني أن تصمد لتواصل حياتها إلى جانب أسرتها.

مع اندلاع الحرب في السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، تبدلت حياة لبني رأساً على عقب. فبيئتها في منطقة السلاطين بيت لاهيا لم يعد مكاناً آمناً، ما أجبرها على النزوح أكثر من ثماني مرات. كانت محطتها الأولى في دير البلح حيث تقيم عائلة زوجها، قبل أن تضطر للتنقل بين ثلاثة أماكن مختلفة داخلها. كل انتقال كان أشبه بانتزاع جزء جديد من روحها. تقول لبني بصوت يخنق بالألم: "النزوح موت بطيء، في كل مرة أترك بيتي أشعر وكأنني أترك عمري وكرامتي خلفي".

بعد عام ونصف من الحرب، وخلال هدنة قصيرة، عادت لبني مع عائلتها إلى بيتهم في حي السلاطين. كان المشهد صادماً؛ فما بقي من الدار لم يكن سوى ركام وخراب. تقول لبني: "لم أجد سوى الحطام، لكنني حصلت من إحدى المؤسسات على خيمة بسيطة، نصبتها فوق الأنقاض كأنها تصرخ: نحن هنا، ما زلنا أحياء". غير أن هذا الملاذ المؤقت لم يدم طويلاً، إذ وجدت لبني نفسها مجبرة مرة أخرى على الرحيل. ففي العشرين من مايو/أيار 2025، اضطرت مع عائلتها إلى النزوح من فوق أنقاض بيتها تحت وابل من القصف والنار، بلا مأوى ولا مكان يحميهم. وبعد ثلاثة أيام، حين عاد زوجها ليأخذ الخيمة التي نصبوها فوق الركام، لم يجد لها أثراً؛ فلا يعرف إن كانت قد سُرقت أم جرفها الاحتلال الإسرائيلي مع ما جرف من البيوت والذكريات.

كان زوج لبني يرفض النزوح باستمرار، ويصر على العودة يومياً إلى مكان سكنهم المدمر. وهناك، بين الأراضي المجرفة وأنقاض البيوت المحروقة، كان يجمع الحطب لبيعه ويشترى بثمنه ما يسدّ جوع أطفاله. كان يدرك أن المنطقة محفوفة بالمخاطر، وأن الطائرات الإسرائيلية لا تميز بين أحد، لكنه كان يردد دوماً: "إذا لم أجد لهم الطعام، فمن سيطعمهم؟"

في الحادي والعشرين من أغسطس 2025، خرج زوج لبني لجمع الحطب كعادته في منطقة السلاطين، لكنه لم يعد. فقد استهدفته طائرة إسرائيلية "بصاروخ مباشر، فاستشهد في مكانه. وبعد ساعات، عثر أقاربه على جثمانه أثناء توجههم إلى معبر زيكيم شمال قطاع غزة بحثاً عن مساعداً، وعادوا به ليدفن في مقبرة الصفاوي شمال مدينة غزة.

تروي لبني بصوت مبحوح: "كان زوجي سندي الوحيد، كنت أعكز عليه لأتمكن من المشي، رحل وترك لي صغاري، حتى الموت أخذ من كان يحمل همومنا".

تعيش لبني وأطفالها الثلاثة اليوم على الرصيف، بعد أن أقاموا مأوى هشاً من الأغشية البالية وقطع القماش. لا يوجد مرحاض، ولا ماء، ولا كهرباء، ويصبح الليل بالنسبة لهم كابوساً طويلاً. يحيطهم الظلام وتهاجمهم الكلاب الضالة، فينام أطفالها وهم متشبثون بها خوفاً، ولا تملك لبني سوى أن تضمهم بذراعين ضعيفتين.

تقول لبني بأسى: "أكره رعب أعيشه ليس القصف الإسرائيلي، بل أن أستيقظ لأجد أولادي قد أكلتهم الكلاب، أو أصحو على جوعهم ولا أستطيع إطعامهم".

المعاناة اليومية لا تتوقف، وتبكي لبني كثيراً بصمت، لأن دموعها لا تجلب الطعام ولا تعيد الغائبين. تقول: "أبكي أياماً طويلة من قلبي، ليس لأنني جائعة، بل لأجل أولادي. يستيقظون الصبح يقولون لي: "ماما جوعانين"، ويذهبون للنوم يقولون: "ماما جعنا". وأنا عاجزة عن فعل أي شيء. أطمم بكيلو دقيق لأعجن منه خبزاً، خبز فقط، لا أكثر".

تضاعف الإعاقة معاناة لبني في خيمتها المهترئة، فهي لم تعد قادرة على التحرك بسهولة، وتحتاج إلى أن يحملها أو يسندها أحد أولادها من كل جانب. لم يعد بإمكانها النزوح كما يفعل الآخرون، وكلما سمعت تهديدات جديدة بأوامر الإخلاء الإسرائيلية إلى الجنوب، يتجمد قلبها من الخوف.

تقول لبني: "لو أجبروني على النزوح، فلن أستطيع... لن أستطيع أن أجز جسدي وأولادي هكذا. أفضل الموت على مشقة الطريق والذل".

لبني اليوم ليست مجرد امرأة فقدت بينها وزوجها وأمنها، بل أم تقف على حافة اليأس، تتشبث بالحياة فقط لتبقى مع أطفالها. تختصر حياتها بجملة موحية: "أنا وأولادي نعيش، لكننا لا نعيش حقاً نحن فقط ننتظر، ننتظر الخبز، ننتظر الماء، ننتظر الأمان أو ننتظر الموت".